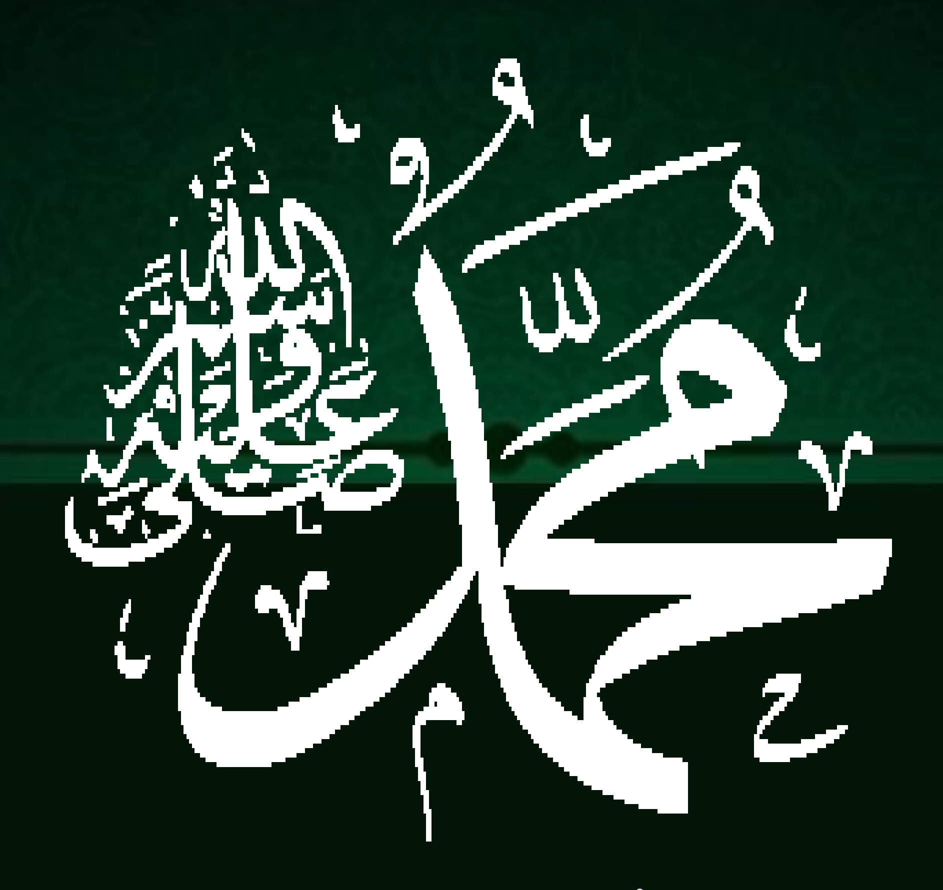
الدكتور عزالدين ذياب

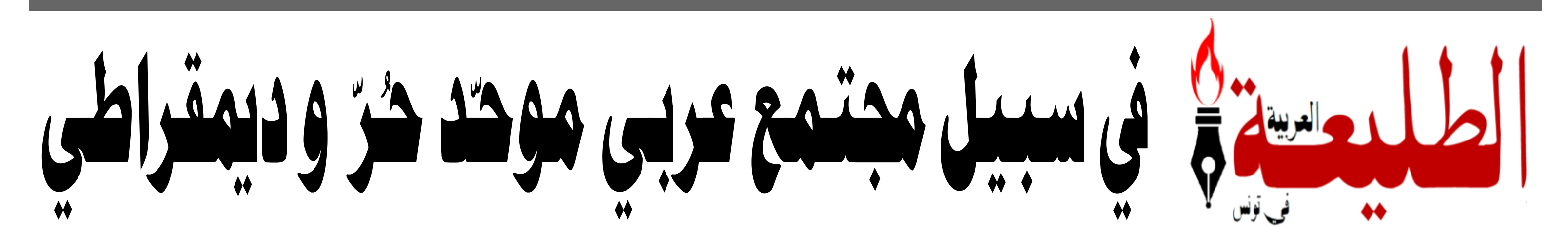


في فكر الأستاذ ميشيل عفلق

دراسة منهجية تحليلية شارحة لمحاضرة في ذكرى الرسول العربي



منشورات 2012 الطليعة



محمد عليه الصلاة والسلام في فكر الأستاذ ميشيل عفلق

دراسة منهجية تحليلية شارحة لمحاضرة القائد المرحوم المؤسس "في ذكرى الرسول العربي " التي القيت على مدرج الجامعة السورية بدمشق بتاريخ 5 نيسان 1943

من تأليف الرفيق المناضل

الدكتور عز الدين دياب

التعريف بالمشاهد / السيناريو Scenario

من المعروف أنّ المشاهد / السيناريوهات تستخدم من قبل العلوم الاجتماعية، ومن ضمنها علم الاجتماع المستقبلي في دراسة وتحليل العديد من الظواهر البنائية، كما تستعمل أيضاً في

تصوير فترة تاريخية/اجتماعية من خلال ما تحتويه من مؤشرات ودلائل ونصوص تعكس تلك الفترة وتعبر عنها.

والمشاهد طريقة وآلية للتفكير تتلاقى فيها أساليب التحليل للواقع الاجتماعي واستشراف تطوره وتفكيره، ومن أهمها أسلوب التحليل التاريخي، وأسلوب التحليل البنائي.

وترى بعض الاتجاهات الاجتماعية والمستقبلية أنّ الغاية من رسم وإشادة المشاهد/السيناريو دراسة خصائص الأنساق البنائية خلال فترة زمنية محددة، الأمر الذي يستدعي النظر إلى مفهوم السيناريو من خلال تركيبه ومكوناته التي تتلخص في الآتي:

1 – الهدف الذي يتطلع وينشده بناء السيناريو، 2 – الحالة الأولية للنسق، 3 – الحالة الافتراضية للنسق، 4 – الخيالات المنطقية، 5 – المسارات، 7 – الزمن كوسيط يحيط بالسيناريو.

ونستخلص من تركيب السيناريو ومكوناته أنه في الأساس يبنى على أساس النظرية التطورية في تفسير التاريخ الاجتماعي.

لذلك تصاغ المشاهد /السيناريوهات من قبل المشتغلين بالعلوم الاجتماعية، ومنها علم الاجتماع المستقبلي بناء على ما يطرح من فروض مبنية على أساس الاحتمالات المتواجد في جوانبه الظاهرة البنائية المدروسة من قبل أولئك المشتغلين بالعلوم الاجتماعية.

أضف إلى ذلك الواقع الذي ينتج ويكون الظواهر محل البحث، ومابين الواقع وما فيه من احتمالات قائمة على أساس العلاقة الجدلية، فالاحتمال من وجهة نظر الأنثروبولوجيا الوظيفية وأنثروبولوجيا المستقبل ودراساته يتكون من طبيعة العلاقة القائمة بين ثلاثية المحدد الموضوعي للتقدم والتطور في الحياة الاجتماعية: الإنسان – التراب – الزمن.

إذاً؛ فالمشاهد كما تتصورها وتراها العلوم الاجتماعية وتوظفها وتستخدمها لتقنية وآلية في دراسة الظواهر والأحداث البنائية والأفكار والآراء من أجل معرفة ما يجري داخل البناء الاجتماعي على أن تقترن هذه المعرفة بالدلائل والمعطيات والمؤشرات بما تتضمنه من أرقام، وبيانات إحصائية خلال إعداد المشهد.

وفي النهاية، فالمشهد من وجهة نظر هذا الكتاب يتكون ويتركب من وقائع وأحداث وأقوال وحتى وجهات نظر مأخوذة من هذا الباحث، وذاك الكتاب، والمفكر، وهي في دلالاتها تعكس حالة اجتماعية يعيشها ويحياها المجتمع في سياق حراكه الاجتماعي على ضوء التأثير المتبادل بينه وبين بيئته الجغرافية، على أن يوضع في الاعتبار توخي الحذر من الإنئسار للحتمية الجغرافية/البيئية. ومادام الكتاب يصيغ المشاهد على هذه الوضعية في

دراسة الحياة العربية، كما وردت في «ذكرى الرسول العربي»، أو في كتب ودراسات أخرى، فإنَّه يبين أن مشاهده ليست على سوية واحدة في تصوير الحياة العربية قبل وخلال ظهور الإسلام، فمنها المركب من عدة عناصر بنائية، ومنها البسيط الذي يقتصر على نسق أو جزئية من أجزاء البناء الاجتماعي، ومن هذه العناصر التي تتكون منها المشاهد تتكون قاعدة المعلومات التي يستفيد منها الكتاب في تصوير ورسم الحياة العربية، وقد أخذ باعتباره أن المشاهد في علم المستقبل ودراساته تمتاز بقدرتها على استيعاب الوقائع والأحداث البنائية التي ستلفت نظره إلى ما ستأتي به المشاهد الآتية.

وتوصلني مواصفات المشهد إلى أنه يشكل العين التي يرى بها الحياة العربية قبل وخلال ظهور الإسلام بداية في مكة المكرمة، كما تقدمه الأحداث، والنصوص التي يتركب منها كل مشهد.

مشاهد من الحياة العربية في عصر الرسول:

تريد هذه المشاهد أن تلقي الضوء على الحياة العربية في عصر الرسول العربي، بحيث تكون الصورة التي تعكس معالم هذه الحياة بكل أنساقها الرئيسة: الاجتماعية، الاقتصادية، الثقافية، السياسية، لنستدل من خلالها على كل ما يجري في هذه الحياة من وحدة وانقسام، وحوار، وصراع، بل قل ما كانت متضمنة ثقافة الحوار آنذاك من قيم ومثل، ونظم ثقافية.

والقصد من جراء ذلك : «أن نعيد إلى الالفاظ معناها وقوتها، مقامها وحرمتها، أن نجعل لكل لفظة موقفاً في الحياة يقابلها، أن تجعل اللفظة مخبرة عن عمل قمنا به، بعد أن كانت مذكرة بعمل عجزنا عنه. علينا ألاّ نقول إلاّ ما نقدر على تحقيقه، حتى يأتي يوم نقدر فيه أن نحقق كل ما نقوله .

وإذا أخذنا المقطع السابق وحلّلناه أنثروبولوجياً نجد أن الأستاذ قد حقق قفزة منهجية إلى الأمام في الدراسة عن بعد لم يسبقه إليها أحد من المفكرين العرب، آنذاك في إطار ما تسميه الأنثروبولوجيا وتعتبره من أحد أهم مهامها الدراسية وضع المعاني الصحيحة على الظواهر وتحديد مضمون المفاهيم العائدة للبحث تحديداً دقيقاً يتجانس مع المعنى الصحيح للظاهرة المدروسة، وخاصة في تأكيده على: «أن نجعل لكل لفظة موقفاً في الحياة يقابلها وأن نجعل اللفظة مخبرة عن عمل قمنا به .

والروعة في هذا التأكيد ضرورة الربط العضوي والجدلي بين المفهوم ومضمونه. بين الظاهرة ومعناها الحقيقي. أي اللفظة ومالها من مواقف تقابلها في البناء الاجتماعي، وهذا ما لمسناه وهو يتحدث عن حياة الرسول وعن قيمة الإسلام في الحياة العربية.

ونأخذ دعوته هذه في حقائقها المنهجية، في سياق أو إطار تشكيل المشاهد وتركيبها في حقيقتين بنائيتين هما:

الأولى: «إنَّ اختيار العصر الذي ظهر فيه الإسلام، كان لأنَّ العرب قد نضجوا وتكاملوا لقبول مثل هذه الرسالة وحملها إلى البشر»..

الثانية: «وللعيوب التي حاربها كانت عيوباً عربية سائرة في طريق الزوال، والمسلم في ذلك الحين لم يكن سوى العربي»..

وانطلاقاً من هاتين الحقيقتين يمكن بناء مشاهد/سيناريوهات تؤيد وتثري الحقائق البنائية الموجودة في الحياة العربية، والتي إذا عشنا مضامينها ومعطياتها تعليلاً وتفسيراً نستطيع أن نقول في صورها البنائية وحوادثها ومفاهيمها قولاً صحيحاً حمالاً للجدل الاجتماعي القائم والكامن في تلك الحياة.

ولاشك أنَّ إحدى المهام الرئيسة للمشاهد استجلاء صورة الحياة العربية في عصر ظهور الإسلام، وتسليط الضوء على النظم الثقافية في تلك الحياة بكل ما فيها من عموميات وبدائل، وخصوصيات، على حد رأي الأنثروبولوجيا الثقافية، وتجديد الألفاظ/ المعاني حتى تواكب التغيرات التي تحدث في البناء الاجتماعي وتعبر عنها تعبيراً سليماً.

المشهد الأوَّل:

«شبه الجزيرة العربية، وهي من أكثر جزر العالم مساحة، حيث تحيط بها البحار من جهاتها الثلاث: البحر الأحمر يحيط بها من الغرب، أما من الشرق فيحيط بها الخليج العربي، ومن الجنوب فيحدها المحيط الهندي.

وكلمة السر في تكوين جبلة شبه الجزيرة العربية الجغرافي أنَّها من الشمال مفتوحة على وطنها العربي بإطلاق، الأمر الذي جعله تاريخياً مسكوناً من قبل العرب قبل الميلاد بمئات السنين مثل العراق، وبلاد الشام، «الأمر الذي سماها بالعربية وبلاد العرب لأن أغلب سكانها كانوا من العرب».

المشهد الثاني:

«إنَّ الجاهلية متمثلة بالشاعر الجاهلي، فهو لسان حال القبيلة متصل بها، قلما ينفصل عنها أو يستقل بالكلام لأنَّه يتكلم أكثر الأحيان بلسان الجمع، فالجاهلية تمثل تجانس المجموع إلى حد بعيد وضيق هذا المجموع أيضاً، فليس للفرد في الجاهلية مكان، إنها طغيان المجموع على الفرد، فالقيم تستمد من هذا المجموع والفرد وتقيد بها، والجاهلية تمثِّل أيضاً تجاهلاً للقدر كأنه لم يكن بينها وبينه أي صلة، أو أي تعارف واضح على الأقل، وللجاهلي في شعره

وتفكيره، وسلوكه يعيش في عزلة المكان ووحشة الزمان، لا يتصل بالماضي، ولا يتعرف على المستقبل أو يتوقع منه شيئاً، كما لا يتصل بالعالم المأهول النائي، ولا يدرك سرّ الكون الواسع المحيط به في حياته نقطة مضيئة واحدة هي سلسلة الحاضر، إنها مسرح نشاطه وبطولته، ولا يمكننا أن نتصور جاهلياً بدون جمع يشاهدون بطولته ويصفقون له».

المشهد الثالث:

«الجاهلية تمثل وسطاً عربياً صرفاً غير أنه ضيق محدود، فقد كثرت التقاليد، وبولغ بالاستسلام للماضي وللقيم الموروثة، حتى تعذر وجود الفرد الذي هو وحده يحيى المجموع ويجده. فالجاهلية تمثل جسماً قوياً، ولكنه سجين تعوقه العوائق فكان لابدّ له من أن يتخطاها ويفلت من القيود»..

المشهد الرابع:

ويتكون مع عدة صور تعكس الحياة الاجتماعية في مكة التي عايشها الشاب: محمد.

الصورة الأولى: «ولما نهض السفر مودعين، سمعهم يشكرون لهذا الرجل صنيعه، ويسمونه بحيرا».

الصورة الثانية: «مرّت السنون، وصورة الصومعة عالقة بذهنه وقامة بحيرى ماثلة في خياله».

الصورة الثالثة: «لقد أصبح اليوم يعلم أن بحيرا كان رجلاً يدين بالنصرانية»

الصورة الرابعة: «إنّه يدرك جيداً أنهم على دين أفضل من دين قومه».

الصورة الخامسة: «فكر طويلاً أثناء السير في أصنام مكة، وفيما يقدمه لها قومه من القرابين وينسبون إليها من القدرة.. وفي ديانة الرهبان وصلواتهم وأدعيتهم.. فلم ترقه الوثنية ولا اطمأن قلبه إلى هذه العبادة في الصوامع، رغم إحساسه بأنها أقرب إلى نفسه».

الصورة السادسة: «إنه يذهب في بعض الأحيان إلى عكاظ فيسمع الشعراء ينشدون القصائد، والخطباء يسجعون بالمواعظ والحكم والرواة يتحدثون بأيام العرب.. ويحضر مجالس الشيوخ من قومه وهم يذكرون عام الفيل ولقاء جده عبد المطلب بأبرهة الحبشي، وماكان من السحاب الذي أمطر جيشه حجارة وناراً ينسبون ذلك إلى آلهتهم».

الصورة السابعة:

«مابال قومه يقتتلون؟ مابالهم جاهلين قاعدين صاغرين»..

«إنَّه ليذكر يوم الفجار إذ رأى القبائل تتسابق إلى الثأر، ووجد نفسه مضطراً إلى الدفاع عن بيضته فكان يجمع السهام لأعمامه ليردوها إلى من رموها».

«ما بال قومه جاهلين قاعدين صاغرين إنَّهم مشدودون إلى حجارة لا تضر ولا تنفع..».

«يبقى أنَّ الأميَّة لا تعني الجهل المطلق بل الجهل بالقراءة والكتابة لم تكن منتشرتين في المجتمع الجاهلي وميسورتين لكل الناس، على أي حال، فلا غرابة أن يكون النبي أمياً».

المشهد الخامس:

«لقد ذهب العرب قبل الإسلام باتجاهاتهم الدينية مذاهب شتى، يعملون ما يحلو لهم، ويوافق أمزجتهم بدون تعقل وذكر لأهل الملل والانتقال إلى البلدان فكانت قريش دعاته ولد – معد – بن عدنان على بعض دين إبراهيم يحجون البيت، ويقيمون المناسك، ويقرون الضيف، ويعظمون الأشهر الحرام، وينكرون الفواحش، والتقاطع، والتظالم، ويعاقبون على الجرائم ودخل قوم من العرب في دين اليهود وفارقوا هذا الدين، ودخل آخرون في النصرانية» .

المشهد السادس:

ويتكون من صورتين:

الأولى: «وهكذا كانت الحياة السياسية في الجاهلية أحلاف تتكون، وأخرى قديمة تنحل، ولاسيما إذا كانت قد تكوَّنت من قبائل لا رابطة دموية بينها، ولا اشتراك في المواطن، كانت عوامل مؤقتة وأحوال طارئة».

الثانية: «أساس النظام القبلي هو العصبية، العصبية للأهل والعشيرة، وسائل متفرعات الشعب أو الجزم أو القبيلة والعشيرة وللعصبية صلة كبيرة بالمسؤولية والعقوبات، فعلى درجة العصبية تقع المسؤولية وجرثومة العصبية للدم، وأقرب دم إلى إنسان هو دم أسرته وتدفع العصبية / للحلف وتشمل العصبية كل مُنْتَم إلى القبيلة وتلزم العصبية أبناء القبيلة بوجوب تحمل التبعية والقيام بواجبها وخضع الفرد العربي في الجاهلية لقانون الجماعة، أي سلطان العصبية».

قراءة في كراس «ذكرى الرسول العربي»:

إنَّ المشاهد عندما تقدم نفسها دلالة على طابع الحياة الاجتماعية في مكة، وتعكس صورة ما يجري من أحداث وعلاقات اجتماعية متغيرة موجودة في بنية مجتمع الجزيرة العربية فإنَّها متضمنة في بنيتها مؤشرات عدة تدل على أحداث ووقائع كانت تجري في الحياة اليومية للجزيرة العربية متباينة في أسبابها مختلفة في وجهتها وأهدافها.

ولكن من اللافت للنظر في تلك المشاهد الغزو الحبشي، وتدخل الروم والفرس في أطراف الجزيرة.. في قبائل وعشائر الغساسنة والمناذرة.. تدَخُّل السيِّد في حياة التابع ومصيره، وتدخل الظالم في شأن المظلوم.. والقوي في وجود الضعيف.

وعن سؤال ماذا تتضمن.. وماذا تقول هذه المشاهد، والسؤال عندي في كل مرة سنة منهجية لأنَّها حمَّالة في جوفها للفروض التي بدونها لا يستقيم البحث والتحليل يفقد مماسكه ويذهب إلى مفترق الطرق؟..

في المشاهد بعض من معالم الحياة الاجتماعية في العصر الجاهلي، وهو على أعتاب طفرة وإرهاصات جديدة وكبيرة تشيد بانتقاله إلى عصر جديد.. هو عصر الإسلام، لكنها المعالم الرئيسة.

وفي المشاهد أيضاً دلائل تقول لنا:

أولاً : إنَّ مكة مثلت حاضرة فيها الغث، وفيها السمين.. فيها الجهل، والعصبية، والثأر، والأحلاف، والحروب.. وفيها الولاءات الدموية والجهوية... وفيها أيضاً الانقسامات والرجولة، والكرم، والبحث عن دور لهذه العشائر والقبائل ترتقي فيه وتتقدم لتصبح ذات شأنٍ... وفيها النخوة ونصرة المظلوم.

ثانياً : وهذه الحاضرة كانت تتواصل مع العالم المحيط بها من خلال قوافل التجارة، والتواصل الجغرافي، وهي تعيش إرهاصاتها ذات الجبلَّة المتنوعة المضامين، والعوامل، والدوافع، والخلفيات، لكنها مجتمعة ومنفردة تئن من الأوضاع التي عليها الجزيرة، تريد الخروج منها إلى أفق أوسع، وأكثر حضوراً في استحقاقات المستقبل المنتظر، التي تعلن عنه الإرهاصات، التي يقول عنها التاريخ إنَّها في كل مجتمع تبشر بولادة جديدة.

ومجتمع مكة أدرى بشعابها، يريد أن ينهي الولاءات الضيقة، ويخرج بالشباب والأجيال الجديدة خارج منطق التَّحارب والانقسام والنزعات العصبية، ويعلن وقف التدخل الرومي والفارسي، وما يتأتى منه من عدوان واستغلال لعرب الجزيرة.

ثالثاً : فيها قوى اجتماعية تتصارع في عدة مستويات من الصراع القبلي... إلى صراع الأجيال... إلى الصراع بين الظالم والمظلوم.. وصراع الديانات من وثنية إلى يهودية ومسيحية وإبراهيمية.

الأهم في هذه الصراعات صراع الأجيال الجديدة مع ما يسود الحياة القبلية من ولاء مطلق للمجموع، وخضوع لأعراف تجعل الشباب ينحني لعادات وتقاليد وقيم لم يعد يقتنع بها، فضاق صدر الشباب بالخلافات والصراعات القبلية، وأصنام لم يعد يكفيه ما يشاهده من طقوس لا تضر ولا تنفع.

ولم يعد يقتنع بحالة الجهل التي تحرمه من كفاءاته الذاتية وصار الشباب يتطلع إلى فضاءات أوسع... ينظر إلى السماء ثم يعاود النظر إلى الأرض... إلى بطاح مكة فلا يجد إلاّ الأصنام أمامه فيحول نظره عنها إلى دين إبراهيم، أو إلى اليهودية والنصرانية.

فيحاور الشباب جيل الشيوخ من الآباء، والأمهات، والأعمام، والأخوال فيجد بصيصاً هنا وظلمة هناك، ويسمع أصواتاً داخل بنية الإرهاصات فيسير نحوها لالتقاطها لكنه لا يظفر بها.

رابعاً – في مكة وضواحيها أهل الحكمة، وأهل الجهل.. فيها الشباب وفيها الشيوخ، وفيها حياة اجتماعية تسيطر على بعض قطاعاتها الاقتصادية والاجتماعية الركود... وفي جوانب بنائية أخرى بلغ الركود مداه وحدّته، ولكن ثمة ولادة جديدة تفلت من هذا الركود، وتتجلى في البحث عن دور الشباب... إنّه في مكة... يبدأ منها، ويفلت فلتة خلاّقة باتجاه أنحاء الجزيرة العربية للخروج منها نحو بلاد الشام واليمن.. ومصر.. ومن بعد إلى المغرب العربي..

خامساً : في مكة يتعالى الحوار... وتنطلق الأصوات معبرة عن اتجاهات جديدة قديمة كانت حبيسة الغلو القبلي.. بعضها ولاّدة، وأخرى رهينة الحياة التقليدية في مكة. وهي:

الاتجاه الأول: يقول بانغلاق مكة وجزيرتها العربية على نفسها، إنّه انغلاق الذات على الذات، ولا جديد إلاّ في أطر القربى ذات المستويات المتعددة.

الاتجاه الثاني: أَلِفَ حياة التبعية للفرس والروم تتماهى مع الذل، والتبعية والعدوان الذي يتساكن على حدودها كلما دعت الحاجة.

الاتجاه الثالث: يبحث عن دور للجزيرة... أهل الجزيرة تعود منه إلى نفسها لتخرج بعد هذه العودة إلى حياة جديدة ترفض الانغلاق على النفس. وفي الوقت نفسه ترفض التبعية، وتدعو إلى الندية مع الفرس والروم تمهيداً لإبلاغهم دور أهل شبه الجزيرة العربية الجديد.

سادساً : لم تعد وحدة المتناقضات تتعايش في جدلية مغلقة على نفسها ولا تأتي بجديد، ويسفر عن ولادة جديدة، فالتجارة ومردودها الاقتصادي والاجتماعي لم تعد القوى الاجتماعية العاملة فيها ترضى عن مردوده بل تبحث المزيد، ولا عادت الفئات الاجتماعية التي تعيش في بحبوحة ترضى بما تناله منها.

والأجيال الشابة ضاقت ذرعاً بطغيان المجموع القبلي القرابي عليها، فأرادت أن تظفر بشأنها وشأن مجتمعها بعيداً عن أوامر، وتوجيه شيوخ ووجهاء العشيرة والقبيلة، ومستويات القربى فيهما. كما ضاقت بالخمر والفروسية التي لا تأتي بأدوار جديدة، ولا تأخذ الشباب خارج الحياة التقليدية، ولا تفصح عن رغبات الشباب ومطالبهم التي ضاقت ذرعاً بالراهن من الحياة الاجتماعية لأنه لا ينهض ولا يلبي مطالب الشباب المتجددة.

كما لم تعد الولاءات لمستويات القربى وعصبياتها تشفي غليلها في القيم الحاكمة لهذه المستويات.. الكل يبحث عن ولاءات أوسع وأكبر.

والنفور من ولاءات القربى وما يأتي منها من ثأر وأحلاف وحروب خلقت وفقاً لولاءات اجتماعية جديدة تبحث عن أرضية بنائية تشكل مستحقات لها، وعقيدة تقفز فوق ثقافة الأصنام الصم البكم، وتذهب بها مذاهب جديدة.

وهذا فحواه ولادة قيم جديدة وأفكار جديدة، واتجاهات أبعد من العشيرة والقبيلة، والعائلة.. إلى وطن برمته يستفيد من طاقاته وإمكاناته ويوظف موقعه الجغرافي الاستراتيجي في منافع كثيرة وكبيرة، تتجاوز لقمة العيش... إلى دور حضاري لأمة جديدة منتظرة ساكنة في أرض مكة وشعابها.

إنّ ما أوردناه من ملامح ومعالم الحياة الاجتماعية في مكة، وما يتفاعل بداخلها من إرهاصات كان بقصد إبراز صورة المجتمع العربي في مكة وما يجاورها. وهذا معناه أن اختيار المشاهد وما ملكت من مؤشرات أي في إطار ما يخدم الهدف الأساس، وفحواه استخلاص الوحدة والانقسام في المجتمع المكاوي وما يتفاعل بداخله من اتجاهات وصراعات، وأهملنا في الوقت نفسه العديد من الظواهر البنائية والمؤشرات رغم أهميتها ودلالاتها المتعلقة بدراسة المجتمع والفهم العميق لبنيانه الاجتماعي.

ويبقى السؤال على جاهزيته المنهجية يعلن عن حضوره حتى نصل إلى ما قاله الأستاذ في الرسول العربي وعنه لنعرف ما إذا كان في وعيه وعقله استشراف معالم عصر النبوة.

يقول جعفر ماجد في كتابه (محمد النبي الإنسان): «ما أجمل أن يعيش المرء في عصر النبوة[...] والنبوة لم تظهر إلاّ في زمن الفساد لرسم طريق الهداية، وطمس أخاديد الغواية، يختار لها اللّه من أهلهم لحمل ذلك الوزر بالقوة الروحية والجلد والصبر والقدرة على الفداء والتضحية».

لقد صار بينهم، وأنجبته الأرض التي تحتاج إلى غيث... إنَّه محمد الرسول العربي الذي كبر بين قومه لحمل ذلك الوزر وهو «الخبير بكل ما يختبره العرب من ضروب العيش في البادية والحاضرة، تربى في الصحراء وألف المدينة، واقترب من السراة، ولم يبتعد عن الفقراء، وهو خلاصة الكناية العربية»

وجاء الرسول العربي في مرحلة تاريخية«كان التاريخ شيئاً فأصبح شيئاً آخر، وكان الشباب في مكة شيئاً، وأصبحوا شيئاً آخر.. وكان محمد في مقدمتهم يسافر، ويرى مالا يراه في مكة، ويتعلم الجديد.. ويذهب تفكيره خارج عالم الأصنام، والاقتتال القبلي.. ويأخذ محمد الشباب إلى حيث يريدون.. ذلك الذي يسكن ويستريح استراحة باحث في وعيهم، وترعرع

الرسول العربي في زمن كانت العروبة حبلى بما ينهض بها، ويجددها ويحقق تكاملها.. وكانت العروبة أيضاً تبحث عن دليل عمل لها... دليل فكري يتجاوب مع نضج العرب وتكاملهم، ويغرِّد باتجاه إنسانية عربية جديدة بادية معالمها وآفاقها في حياة الرسول العربي التي مثّلت التمرد على الواقع بأحلى أشكاله ومستوياته، ويمضي به ليكون استعداد الأمة الدائم يختم نفسه بظفر الحق على الباطل، والإيمان على العبث..»

في مكة أخذت الإرهاصات تُعلن عن ولادة جديدة... مستقبل جديد تراه في شخص محمد النبي العربي «لن تخبرك أمة إلاّ إذا فتحت أمامها باب المستقبل، ولن تلتفت إلى الماضي إلاّ إذا كان فيه التقاء المستقبل».

إذاً؛ «كان العرب أصحاب أدب ودين، وأصحاب ثروة وقوة وبأس، وأصحاب سياسة متصلة بالسياسة العامة، متأثرة بها، ومؤثرة فيها، وأصحاب اقتصاد داخلي وخارجي، فما أجدرهم أن يكونوا أمة متحضرة راقية لا أمة جاهلية همجية».

وإذا أخذت التحديات التي تواجهها الأمة العربية بكل أبعادها الداخلية والخارجية فإنّنا نجدها «أمة تيقظت لوجودها وعرفت شأنها بين من يحدقون بصحرائها.. ثم رأت هؤلاء المحيطين بها.. يجورون عليها، ويريدون إخضاعها وابتلاعها [...] خطر من خارجها يزيد الأمة يقظة وانتباهاً لوجودها... وخطرٌ من داخلها يدفع بها دفعاً إلى الزوال أو إلى استكمال النقص المشترك في حياتها»..

ونعرف من التاريخ أنّ التحديات كلما تعاظمت في أمة مثل الأمة العربية لابد أن يجاريها البحث عن الكيفية التي تستجيب بها هذه الأمة لهذه التحديات.. الاستجابات الكفيلة باستكمال النقص الموجود في الحياة العربية عهدئذٍ وإحداث نقلة نوعية في هذه الحياة.

ويجيب الأستاذ على السؤال الذي يتضمنه البحث عن الاستجابات التي ترتقي إلى مثل تلك التحديات «ثم يظهر الإسلام فيحدث انقلاباً في حياة العرب وفي أنفسهم».

وتجلى هذا الانقلاب في صدر الإسلام عندما ارتقى بالشخصية العربية ومثل«اتحاد النفس العربية مع القدر بعد أن كانت متجاهلة له فتصبح إرادة القدر هي إرادتها بعد عزلة المكان ووحشة الزمان، ويصبح العالم كله، لا بل الكون، وكل ماهو منظور وغير منظور مسرحاً لنشاطه ولتطبيق هذه القيم الجديدة التي ظهرت في الحياة العربية»..

والحقيقة أنّ نظرة الأستاذ الإيجابية إلى الدين، وتقديره العالي لمسألة الإيمان جعلته يستبشر الدور الإيجابي والفاعل للإسلام في الحياة العربية، ولننظر إلى ما قاله عن الإسلام وعظمته: «في حياتنا القومية حادث خطير، وهو حادث ظهور الإسلام.. حادث قومي وإنساني وعالمي، ولا أجد أن الشباب العرب يعطون هذا الحادث حقه».

وسنرى الدليل تلو الدليل في أكثر من دراسة ومقابلة يقدمها الأستاذ عن الدور الذي لعبه الإسلام في الحياة العربية.

وبما أن الشباب العربي يمثلون وجهة الأستاذ وهو يستشرف المستقبل العربي لذلك يأتي لنا بأسبابه عندما يشخص موقف الشباب العربي من الإسلام.

أولاً : «لا أجد أنَّهم يدرسونه ويحيطون بكل ظروفه وتفاصيله وملابساته، لأنَّ فيه عظة بالغة، فيه تجربة هائلة من تجارب الإنسانية.. يمكن أن تغنيهم، وتغني ثقافتهم العملية والسياسية».

ثانياً : «إنَّ الإسلام عند ظهوره هو حركة ثورية، ثائرة على أشياء كانت موجودة: معتقدات، وتقاليد ، ومصالح»..

ثالثاً : «لا يفهم الإسلام حق الفهم إلاَّ الثوريون».

رابعاً : «لا دين مع الفساد والظلم والاستثمار، وإن الدين الحقيقي هو دوماً مع المظلومين ومع الثائرين على الفساد».

خامساً : «الدين قادر على أن يعود إلى حقيقته إذا وجد أفراداً مؤمنين متجردين يعيدون إلى الدين صفاءه الأول».

سادساً: «الدين شيء أساسي وسيرجع إلى جوهره، متغلباً على النقمة»...

سابعاً : «الدين في صميم القضية العربية، والمواطن العربي الذي نعمل لتكوينه لم نرض له أن يتكون ناقصاً أو زائفاً ، وأن نكتم عنه جانباً من الحقيقة».

ونسأل مثل كل مرَّة لماذا اختار الأستاذ الحديث عن الرسول العربي في ذكراه، وماهي دواعيه؟..

إنَّه البحث عن طريق جديد للأمة العربية، لا تجده في الأحزاب الدينية ولا في الأحزاب الشيوعية، لأنَّ الأمة العربية محكومة لظروف موضوعية، وهذا شأن ثورتها العربية، وعلى رأسها «مواجهة الاستعمار الغربي والحضارة الغربية، والسؤال عن سبيل للخلاص عن كيفية الإنقاذ، كيف نتحرك؟.. كيف نتقدم؟. هل بالشيوعية؟!..».

وأخذ البعث بهذا الطريق الذي اختطه للأمة العربية، ووجد فيه طريقاً خاصاً بها..

ويأتي لنا الأستاذ بسبب هذا الاختيار بقوله: «إنَّ الأمة التي اختارها القدر لتكون مسرحاً لمثل هذه التجربة البشرية السماوية، هي أمة حكم عليها وإلى الأبد أن تكون متميزة عن باقي البشر لأنَّها ذاقت طعم شيء لم يشاركها أحد فيه، ونحن نستبعد – طبعاً – كل المعاني

السطحية لهذا الكلام، كالغرور والانتفاخ والتفاخر.. فليس هذا المقصود عندما أقول إنّ الأمة العربية تميّزت بهذا الحادث الفريد الذي طبعها إلى الأبد.. وإنما فعلاً لا يمكن أن نستطيب شيئاً أقل من مستوى الوحي الإلهي... الشيء السماوي الذي هو أيضاً بشري متجسد في عقل بشري واضح».

وعندما يشير الأستاذ إلى أهمية التجربة الإسلامية في الحياة العربية يريد أن يشهر دواعيه باختيار طريق جديد للأمة العربية ولبعثها «عندما نضع يدنا على هذه الميزة التي للأمة العربية بهذا الوضوح، وبهذه الواقعية، وهذه القوة، فلا شك أنها توحي بطريق خاص للثورة العربية ليس المطلوب فيه أن تخالف العصر والقوانين العلمية فمن ضمن القوانين البشرية، ومن ضمن قوانين العقل والعلم يعطي هذا الاكتشاف لحركة الثورة العربية خصوصية.. يعطيها مستوى، وأخلاقية معينة... كما يعطيها سعة إنسانية، وكونية... يعطيها اتساعاً وشمولاً»...

ثم يضيف الأستاذ سبباً جوهرياً آخر للطريق الذي اختاره البعث للأمة العربية:«من الطبيعي أن نكتشف حقيقة ثانية لا تقل أهمية عن الأولى، وهي حقيقة الدين، فطريق البعث كان نتيجة اكتشاف الإسلام كدين وتراث، وإذا كان للتراث صفة قومية فإنّ الدين شيء إنساني لا ينحصر بالعرب».

إذاً؛ اكتشاف الإسلام وقراءته ظهرت بكل تجلياتها «من خلال موقف مصيري من تحديات الاستعمار، والحضارة الغربية، ومن تحديات الفكر الشيوعي»...

وعلى أساس ما تقدم وضع البعث: «الأمور في نصابها عندما وضع الإسلام كثورة أخلاقية وفكرية واجتماعية حاسمة في تاريخ البشر، وضعها في صلب القضية القومية»..

وكان «رجوعه إلى الإسلام في مواجهة الطغيان الغربي الحضاري رجوعاً طبيعياً وعفوياً لم يحتَجْ إلاّ إلى الحس الصادق»...

غير أنّ هذا الرجوع، له دوافعه ودلالاته عند الأستاذ، حيث «وجد الحزب في معين الإسلام الذي لا ينضب أول ما وجد عروبة الإسلام: العروبة كهوية، وأرض، ولغة، وتاريخ، والعروبة كشعب ومجتمع في حالة مخاض، – وتحفّز، والعروبة كثورة فجرها الإسلام [...] والعروبة كرسالة خالدة»..

وانتهى الأستاذ إلى نتيجة تمثل أحد أهم حقائق الأمة العربية ألاّ و هي أن «علاقة الأمة العربية بالإسلام علاقة خاصة حيوية ومصيرية لها وللإسلام، فلا يمكن أن يفهم الإسلام شعب مثلما يفهم الشعب العربي، ولا يمكن أن يشعر أحد نحو الإسلام بمثل الرابطة والمسؤولية اللتين يشعر بهما العرب نحوه»...

إنّ ما انتهى إليه الأستاذ وضع البعث أمام ثلاث مهام:

الأولى: « حين أعادت – أي حركة البعث – الإضافة من قبلي ، الإسلام إلى العروبة.. إلى القومية العربية ، لضرورة المواجهة الحضارية مع الاستعمار الغربي» ..

الثانية: «ولدت منهما نظرة جديدة للإسلام كثورة عربية إنسانية حضارية قابلة للتجدد والانبعاث في كل مرحلة تاريخية مصيرية من حياة الأمة العربية»..

الثالثة: «وهكذا بدأ طريق المستقبل العربي يزداد وضوحاً فهو لا يبنى إلاّ من خلال الثورة باتجاه التقدم، ولكن باستلهام الأصالة التي تجسد ثورة الإسلام بواقعها العربي وجوهرها الإنساني وأبعادها الحضارية»

ما وجدناه في سبيل البعث عن الدين والإسلام والعروبة، والعلاقة العضوية بينهما، يبدأ من حقيقة عربية ترافقها وتأتي خلفها مجموعة من حقائق الأمة العربية قال بها الأستاذ، وكانت فاتحته نحو محمد الرسول العربي في ذكراه، وفحوى هذه الحقيقة كما يضع معانيها على النحو الآتي: «في حياتنا القومية حادث خطير، وهو حادث ظهور الإسلام... حادث قومي وإنساني عالمي».

واقتراب المحب من الإسلام أوجب على الأستاذ أن يفند الحملة المعادية للدين من قبل الأحزاب الشيوعية. عندما أخذت تبني على هواها أطروحة ماركس: الدين أفيون الشعوب. وأعلنت بعض قياداتها الإلحاد بوصفه عقيدة بديلة للدين، فقال لهم: «الدين قادر أن يعود إلى حقيقته إذا وجد أفراداً مؤمنين متجردين يعيدون إلى الدين صفاءه الأول.. الدين شيء أساسي وسيرجع إلى جوهره..»

وأراد الأستاذ أن يُكمِل مهمته، فتوجه إلى الفئات الفكرية الدينية التي لا تُشهر أقلامها وأقوالها ضد تشويه مظالم الدين ولا تعلن احتجاجها وثورتها على المفسدين في الأرض... ثورة بناءة كفيلة بأنّ «بعث الدين يكون بإزالة هذه المفاسد والمظالم»وأن لا يكتفوا بالقول:« والتّرديد بأن الدين خير وبركة وبأن فيه الكمال كل الكمال[....] بل لابد من محاربة المظاهر الفاسدة للدين، وإعادته إلى جذوره، وأصوله، وإلى صفائه».

ولاشك أنّ وقفة الأستاذ الصادقة والواعية والثورية إلى جانب إيجابيات الدين ووقوفه إلى جانب المظلومين أراد أن يظهر أهمية الإسلام في الحياة العربية، كما أراد أن يشخص المسافة بين ما جاء من أجله الإسلام، وبين السلوك الراهن لتلك الفئات:«فلو تخيلنا أنّ المسلمين الأولين الذين عرفوا النضال من أجل المبدأ، وذاقوا كل مرارته، واجتازوا امتحانه ودفعوا ضريبته، هذه الفئة أو بعض أفرادها لو جاؤوا اليوم وهبطوا على حياتنا العربية الحاضرة.. تصوروهم بنفسيتهم المناضلة الثائرة، بشعورهم الحاد بالحق، وبأنّ الحق شيء مقدس لا يكفي

أن نعرفه، بل نُعَرِّفه للآخرين [...] لو جاؤوا اليوم، أي وسط يستطيبونه، ويهدؤون إليه، ويشعرون إليه بالقرابة؛ هل هو وسط الظلم الاجتماعي، وسط الأغنياء والوجهاء والمستثمرين [...] أنا أعتقد بأن المسلمين الأولين لو رجعوا اليوم لما استطابوا العيش إلاّ في القرى المظلمة البائسة مع المظلومين والمستعبدين، إلاّ في السجون مع المناضلين فأصحاب دعوة الحق هم دوماً إلى جانب الحق» .

ونستشف من هذا الكلام الذي يستبطن النقد المقارن بين إسلام الأوائل الذي عرف بقول كلمة الحق، وبين إسلام الفئات المراوغة، لرأينا أن الأمة العربية لا تستطيع، حسب وجهة نظر الأستاذ العيش بدون الإسلام الحقيقي.. والإسلام المحارب الذي يقف إلى جانب المظلومين.

وكانت هذه الرؤية للإسلام الحقيقي الدافع وراء موقف الأستاذ في مواجهة الإلحاد ونقده ورفضه «ونحن لا نرضى عن الإلحاد، ولا نشجع الإلحاد وتعتبره موقفاً زائفاً في الحياة، موقفاً باطلاً وضاراً وكاذباً إذ إن الحياة معناها الإيمان».

ومداخلة الأستاذ عن الإلحاد ورفضه له جعلته يصوب نظره نحو الغرب، وإقدام الغرب على رفض الدين، والثورة عليه، فأعلن رأيه الآتي: «فالثورة على الدين في أوربا هي دين، هي إيمان بمثل وبقيم إنسانية رفيعة، وهي أقرب إلى الدين في حقيقته الأصلية».

وأراد من هذه النظرة إلى الغرب أن يقول إن ما يصح للغرب لا يصح للعرب، لذلك رأى الدين بإيجابياته، ودوره الاجتماعي والسياسي: «إن الحزب لا يرى هذا بل يرى أن الدين تعبير صادق عن إنسانية الإنسان، وإنه يمكن أن يتطور في أشكاله [....] إذن فالدين في صميم القضية العربية، والمواطن العربي الذي نعمل على تكوينه».

وفي تحليله للشخصية العربية الاجتماعية بين الماضي والحاضر، وهو يحيي ذكرى الرسول العربي، يقول الأستاذ: «نحن أمام حقيقة راهنة هي الانقطاع بل التناقض بين ماضينا المجيد، وحاضرنا المعيب، كانت الشخصية العربية كلاً موحداً، لا فرق بين روحها وفكرها، بين عملها وقولها، أخلاقها الخاصة، وأخلاقها العامة، وكانت الحياة العربية تامة وريانة مترعة يتضافر فيها الفكر والروح والعمل، وكل الغرائز القوية» .

ثم يتابع الأستاذ تحليله وتوصيفه للشخصية العربية الراهنة: «أما نحن فلا نعرف غير الشخصية المنقسمة المجزأة ولا نعرف إلاّ حياة فقيرة جديبة أو عملية هوجاء».

ويدعو إلى تجاوز هذه الشخصية «وقد آن لنا أن نزيل هذا التناقض فنعيد للشخصية العربية وحدتها وللحياة العربية تمامها، يجب أن تتحد الصلاة مع العقل النير مع الساعد المفتول، لتؤدي كلها إلى العمل العفوي الطلق الغني القوي المحكم الصائب».

وعلى هذا الأساس يطيل الأستاذ النَّظر والتَّبصر في الإسلام، وهو يعيش شخصية الرسول العربي، فيرى «أنَّ حركة الإسلام المتمثلة في حياة الرسول ليست بالنسبة إلى العرب حادثاً تاريخياً فحسب تفسر بالزمان والمكان، وبالأسباب والنتائج، بل إنَّها لعمقها وعنفها واتساعها ترتبط ارتباطاً مباشراً بحياة العرب المطلقة».

وأسأل الأستاذ، (وأنت الذي أكدت على الرابطة المصيرية بين حركة الإسلام المتمثلة في حياة الرسول العربي، والحياة العربية) ماذا كنت ترى وتستشرف في ظهور الإسلام؟ ويجيب لأنّ «الإسلام هو الهزة الحيوية التي تحرك كامن القوى في الأمة العربية فتجيش بالحياة الحارة...».

وأيضاً لأنَّ العرب «عرفوا بواسطة هذه التجربة الأخلاقية العصيبة كيف يتمردون على واقعهم، وينقسمون على أنفسهم في سبيل تجاوزها، إلى مرحلة يحققون بها وحدة عليا»( ) ...

والحقّ أنَّ تجربة بهذا المستوى لابد أن تدعو العرب دعوة تتعلق بشخصيتهم الاجتماعية، والمتمثلة بأن يقدم العرب على فتح أنفسهم قبل أن يفتحوا الأرض كما فعل الأجداد «أنفسهم، وسبروا أغوارها، وخبروا دخائلها، وقبل أن يحكموا الأمم حكموا ذواتهم وسيطروا على شهواتهم، وملكوا إرادتهم»..

وأوضح الأستاذ أن تجربة الإسلام في التاريخ العربي لم تكن خارج إمكانياتها وتحدياتها، وإنما كانت أكثر من ذلك «ليست حادثاً تاريخياً يذكر للعبرة والفخر، بل هي استعداد دائم في الأمة العربية إذا فهم الإسلام على حقيقته».

إذاً؛ فإنَّ شخصية الرسول العربي شكلت أنموذجاً للشخصية العربية الرئيسة/ المنوالية لأنَّها في الحقيقة كانت خلاصة لحياة العرب «لكن حياة الرسول، وهي ممثلة للنفس العربية في حقيقتها المطلقة لا يمكن أن تعرف بالذهن.. بل بالتجربة الحية، لذلك لا يمكن أن تكون هذه المعرفة بدءاً، بل هي نتيجة.. ».

والأستاذ عنده أسبابه، وهو يدعو «الإنسان العربي إلى النظر لحياة الرسول العربي من داخلها بعد أن كان ينظر إليها من الخارج لأنَّ هذه الشخصية فقدت وحدة الفكر مع العمل.. وانقسمت على نفسها لتذهب باتجاه التجزئة والتشرذم، ولا تعرف إلاَّ حياة الفقر والمذلة، محرومة من القوى الجوهرية التي تحتاجها [...] كما أن انتسابها لأجدادها كان ولا يزال انتساباً رسمياً واتصالاً بتاريخها الحديث، بتاريخ العرب المجيد اتصالاً طفيلياً لا عفوياً» ، «ويقرؤون السيرة النبوية، ويترنمون بها، ولكنهم لا يفهمونها، لأنَّ فهمها يقتضي درجة من غليان النفس قصوى، وحداً من عمق الشعور، وصدقة لم يتوافر لهم بعد، وموقفاً وجودياً يضع الإنسان أمام قدره وجهاً وجهاً لوجه، وهم أبعد ما يكون عن ذلك»..

يفيد كلام الأستاذ السابق دعوته لتغيير جذري في نفسية الإنسان العربي، أي تغيير في شخصيته الاجتماعية، وبخاصة ما يسكن في جهازه النفسي.. وتغيير النفس من الداخل هو الطريق إلى الجيل العربي الجديد الذي يراهن عليه في وحدة الأمة العربية وبلوغ مستقبلها، وهذا ما يجعله يصر على دعوة العرب للنظر إلى حياة الرسول العربي من داخلها لتحياها ولتعيشها حقيقة في حياتها اليومية: «إنَّ كل عربي في الوقت الحاضر يستطيع أن يحيا حياة الرسول العربي [...] وأن يكون مصغراً ضئيلاً لمحمد مادام ينتسب إلى الأمة التي حشدتَ كل قواها فأنجبت محمداً [فلقد] كان محمداً كل العرب فليكن كل العرب اليوم محمدا»...

والدعوة إلى تجديد النفس العربية تجديداً جذرياً للشخصية العربية، وهي خطوة إلى الأمام لتجديد المجتمع العربي بكامله والتجديد عند الأستاذ نتيجة منطقية لأن في «الإسلام تجدد العروبة وتكاملها».

ونقاط الاستناد عند الأستاذ لدعوته لتجديد الشخصية العربية كثيرة ومتنوعة يأتي بها كمؤشرات ودلالات من داخل البناء الاجتماعي العربي، وهي:

«1 – رجل من العرب بلغ رسالة سماوية فراح يدعو إليها البشر.

2 – ولم يكن البشر حوله إلاَّ عرباً فاستجاب للدعوة نفر قليلٌ، وقاومها أكثرهم..

3 – فهاجر مع المؤمنين، وحاربه المشركون إلى أن انتصر الحق فآمن به الجميع.

4 – إذن، ملحمة الإسلام لا تنفصل عن مسرحها الطبيعي الذي هو أرض العرب، وعن أبطالها، والعاملين فيها، وهم كلُّ العرب.

5 – مشركو قريش ضروريون لتحقق الإسلام ضرورة المؤمنين له، والذين حاربوا الرسول ساهموا في ظفر الإسلام كالذين أيدوه ونصروه.

6 – واختار لذلك الأمة العربية وبطلها الرسول العربي».

ولكن اختيار السماء لرجل من العرب اسمه محمدٌ ليكون نبي هذه الأمة ورسولها، لا يأتي من فراغ عند الأستاذ وإنما لتوافر الاسباب والعوامل الآتية:

أ - «واختار لذلك الأمة العربية وبطلها الرسول العربي».

ب - «وإن اختيار العرب لتبليغ رسالة الإسلام كان بسبب مزايا وفضائل أساسية فيهم.»

ج - «وإن اختيار العصر الذي ظهر فيه الإسلام كان لأنَّ العرب قد نضجوا وتكاملوا لقبول مثل هذه الرسالة وحملها إلى البشر»

د - «وإن تأجيل ظفر الإسلام طوال تلك السنين كان بقصد أن يصل العرب إلى الحقيقة بجهدهم الخاص وبنتيجة اختبارهم لأنفسهم وللعالم».

هـ - «أي أن يخرج الإيمان وينبعث من أعماق نفوسهم فيكون الإيمان الحقيقي الممتزج مع التجربة، المتصل بصميم الحياة».

ومن المؤكد أنّ كل الأسباب والعوامل التي تعكس نفسها كمؤشرات عن وقوع حدث أو واقعة، وظهور قضايا نوعية جديدة في المجتمع العربي الذي ظهر فيه الإسلام، لابد أن يترتب عليها نتائج يراها الأستاذ في الآتي:

أولاً - «فالإسلام إذا كان حركة عربية».

ثانياً - «وكان معناه تجدد العروبة وتكاملها».

ثالثاً - «فاللغة التي نزل بها كانت اللغة العربية»

رابعاً - «وفهمه للأشياء كان بمنظار العقل العربي»

خامساً - «والفضائل التي عززها كانت فضائل عربية ظاهرة أو كامنة»

سادساً - «والعيوب التي حاربها كانت عيوباً عربية سائرة في طريق الزوال»

سابعاً - «والمسلم في ذلك الحين لم يكن سوى العربي، ولكن العربي الجديد، المتطور، المتكامل»..

ثامناً - «وكان المسلم هو العربي الذي آمن بالدين الجديد».

تاسعاً – «لأنه استجمع الشروط والفضائل اللازمة ليفهم أن هذا الدين يمثل وثبة العروبة إلى الوحدة والقوة والرقي»..

عاشراً – «في حين أنّ الإسلام بالنسبة للعرب ليس عقيدة أخروية فحسب، ولا هو أخلاق مجردة».

الحادي عشر – «بل الإسلام هو أجلى مفصح عن شعورهم الكوني، ونظرتهم إلى الحياة»..